الفصل العاشر

المرحلة الثانية : " أدب ابنك سبعًا" مرحلة جديدة في حياتهم ، وفي حياتك أيضًا ، كما وأنهم سيتغيرون لابد لأسلوبك أن يتغير ، وسوف أبسط لك المسألة وأشرحها لك شرحًا سهلاً .

بعد أن كان العطاء يحتل المكانة الكبرى في المرحلة الأولى ، لابد لنا هاهنا

أن نبدل الأوضاع قليلاً ويأخذ التهذيب محل العطاء .

× التهذيب .

والتهذيب يا عزيزي لكي تكون له منفعة لابد أن تبدأ بـ :

- اربط دنياه بأخراه :-

بمعنى أن نوضح له ما المراد من أفعاله ، وماذا سينال من الثواب لكي يعرف عاقبة أفعاله ، وهو أمر في غاية الأهمية لكي يبدأ في إدراك أن لأفعاله عاقبة ، لذا عليه أن ينقح تصرفاته ويعرف ما ينفعه في آخرته،

مما لا ينفعه .

ولهذا قال رسولنا صلى الله عليه وسلم موضحًا لنا "علموا أولادكم الصلاة لسبع"

"ولكن مع هذا السن الصغير كيف نستطيع ربط دنياه بأخراه؟"

"انتبه يا عزيزي لم يعد الولد صغيرًا الآن ، لقد دخل مرحلة جديدة ، مرحلة جديرة بالاستعداد لها ، لقد زاد ارتباطه بالعالم الخارجي ، فهي مرحلة تكوين صداقات خارجية ، في المدرسة مثلاً ، وسيأتيك يومًا ليشكو لك من صديقه الذي قام بضربه ، فماذا أنت فاعل؟"

"قديمًا كنت أوضح له أن عليه ألا يسمح لأحد بضربه ، وأن يقوم بضرب من يضربه ، لكن الآن ومع تلك البداية الجديدة ، أشعر بأن تصرفي لم يكن سليمًا ، أليس كذلك ؟"

"هذا هو حال معظمنا، حوَّلوا حياتنا إلى غابة، لابد من أخذ الحق فيها بالقوة حتى وإن كان أبناؤهم مخطئين ، تجد الأب أو الأم

obeikandl.com

يطالبان الأبناء بفرض السيطرة على الأصدقاء ، وأنه لابد من لأخذ الحق بالقوة ، ولابد من السيطرة على كل ما يحدث بأي سبيل "

" وهل هذا أمر سيء ؟"

"ماذا ترى أنت؟ ، عندما يأتي كل ابن لوالديه فيطالباه بأن يكون هكذا ، فأين سنعيش الآن بين مجموعة من الأسود المتوحشة التي لا همَّ لها إلا فرض سيطرتها ، وقيادة الآخرين .

سأسألك سؤالاً : أتحب أن يصبح أبناؤك قادة ؟"

" بالطبع ، ومن لا يحب"

" إذا أصبح أبناؤنا جميعًا قادةً ، سيقودون من ؟"

أضاءت تلك الفكرة ذهني ، بالفعل ..... إننا ننسى أن الحياة لها قواعد ثابتة لكن إحساسنا بذاتنا المبالغ فيه يجعلنا نفرط في أنانيتنا .

"بالفعل ، لن تستقيم الحياة هكذا"

" لكننا نظن أن أبناءنا لو لم يصبحوا قادة، فإنهم سيصيرون عالة على المجتمع.

لقد ذكرني ذلك بقصة قرأتها قديمًا عن بعض الجامعات التي وضعت سؤالاً للطلاب المتقدمين للدراسة فيها ، وكان السؤال يقول : هل ترى في نفسك صفات القيادة ؟

فكيف تظن إجابتهم جميعًا ؟"

ضحكت وقلت: "بالتأكيد الجميع أجاب بـ : نعم، أليس كذلك؟"

" بالطبع، الجميع أجاب بـ نعم، إلا شخص واحد فقط ، وقد كان شعوره أنه سيرفض ، وهذا الإحساس الذي نظنه أنني إذا لم أكن قائدًا فلا مكان لي في تلك الحياة"

"وهل رفضوه بالفعل؟"

"بالعكس لقد كان أول من قبلوه ، فقد أرسلوا له رسالة مفادها "الطالب الصادق"

"لقد تقدم للجامعة ١٤٤٩ قائد ويسرنا أن يكون لهم على الأقل تابع واحد"

obeikandi.com

ضحكت ملء فمي ، وقلت : " كل المتقدمين يظنون أنفسهم قادة؟"

" لأنهم جميعًا قد غُرِس في أنفسهم أنه لابد أن تكون قائدًا لكي تكون نافعًا ، وهذا كلام خاطئ ، فلابد أن يكون هناك قادة وأتباع ، والأتباع يعلو قدرهم في كل الأوقات ، وهذه فائدة ربط الدنيا بالآخرة .

وهل ينكر أحدنا فضل سيدنا بلال رضي الله عنه ؟"

"بالطبع لا"

"وكان عبدًا حبشيًا"

تفكرت في كلامه ، وغصت مع معانيه ، يالها من قوة تلك التي تمنحها لابنك عندما تربط دنياه بأخراه بالفعل .

"لو فعلنا ذلك سيكون أبناؤنا في قمة الرضا"

"بل وفي قمة النشاط ، لأنه يجد فائدة لما يفعل ، هل فكرت في أخذ أبنائك لزيارة مريض، لا أظنك فاعلاً ، لماذا ؟ لأنك لا تريد أن

obeikandl.com

تضايقهم أو لأنهم صغار فلم تحملهم على هذا الحزن الذي قد يفضي بهم إلى الاكتئاب ، أليس هذا ما نفكر فيه ؟"

"بالطبع ، فلماذا نفعل ذلك بالصغار؟

" إذا أردت أن تنشيء ابنًا صالحًا فافعل ، من بلوغ ابنك عشرة سنوات ، خذه معك لزيارة المرضى ، واجعله يتصدق على الفقراء لكي تربط دنياه بأخراه جيدًا ووضح له فائدة ما يفعل وما سيعود عليه في الآخرة من المنافع"

"أظنني فهمت الفائدة الآن"

لنكمل طرق التهذيب إذن .

- علِّم أدِّب :

تعليمك أبناءك في هذه المرحلة سيختلف عن المرحلة السابقة ، وسوف تستمر معنا القصة كواحد من أفضل عوامل التعليم ولكن لابد أن يتواجد حزم وشدة هاهنا ، لابد أن يعاتب إن لم يحسن ومع العتاب لابد من الشدة ، وقبل أن أحدثك عن الضرب أذكرك أنك ماتزال قدوة لأبنائك متى ما أحبوك واقتنعوا بما تفعله ، ولكي تحافظ

obeikandl.com

على منزلتك لابد أن تجعل شدتك في أوقات واضح فيها الخطأ ، بمعنى أن لا تجعل شدتك دائمة .

"إنها مرحلة تأديب في كل شيء ، عندما يصل أبناؤنا إلى سن سبع سنوات أو أكثر ، نكون قد عرفنا عنهم الكثير ، ألا توافقني على ذلك"

"إنني أعرف مشاكل أبنائي ، حتى التي يحاولون إخفاءها عني، لقد صاروا كتابًا مفتوحًا بالنسبة لي ولأمهم"

" تساعدنا السبع سنوات الأولى على رصد مشاكل الأبناء ، ثم لنحاول تأديبها في السبع سنوات التالية"

"ولكن ما فائدة قولك علِّم أدِّب ، ما ارتباط العلم بالأدب؟"

"لطالما ارتبط العلم بالأدب على مر العصور ، والبيت هو المدرسة الأولى في حياة الابن لذلك عليك أن تعمل دائمًا على تعليمهم"

" إنني أعتقد أن المدارس في تلك الأيام ، لا تعلِّم ولا تؤدِّب، لقد انحصر دورها في ورقة نأخذها آخر العام ، تدل على اجتياز المرحلة ، ندفع الأموال لنحصل على ورقة فقط"

" دعك من تلك النظرة القاتمة للمدارس ، فالمدرسة لن تستطيع أن تعلم أبناءك كما ستعلمهم أنت "

ثم من طرق التهذيب :

- الضرب :

" لا يزال الضرب واحدًا من أقدم أساليب التهذيب ، وأكثرها شيوعًا ، بل وأسهلها للجميع "

" وهل الضرب طريقة فعالة ومؤثرة ؟ "

" بالطبع لكن بشروط :

أولاً : لابد أن توضِّح له سبب ضربه .

وهذا أمر في غاية الأهمية ، أن توضح لابنك لماذا ستضربه ، ليتعلم ما عليه أن يفعله .

ثانيًا : لابد أن لا يكون الضرب مفرطًا أو مبالغًا فيه ، أي ليكن على قدر الخطأ.

إن من احترامك لآدمية أبنائك ألا تبالغ في ضربهم ، لأنهم بذلك

oberikandl.com

يفقدون إحساسهم بآدميتهم ، لذا اجعله على قدر الخطأ.

ثالثًا : لا تكثر الضرب ، واجعل ضربك على الأمر الهام ، فإنك إن أكثرت الضرب فقدت حب ابنك لك ، وجعلته يفقد أهميته عنده.

رابعًا : لا تهدِّد به كثيرًا ، فقط إن هددت فاضرب .

خامسًا : الضرب يكون عقابًا ، لا انتقامًا.

والفرق بين الاثنين كبير ، فعندما تضرب لتنتقم سيعود ذلك بالسلب على ابنك ، وسوف لن تشعر بمقدار ضربك الذي قد يزيد عن الحد ، وقد يصبح مدمرًا فتحدث مالا تحمد عقباه.

وكم قلت لك سابقًا أنه أسهل طريقة فما أسهل أن يضرب الأب أو الأم ابنهما لكنه لو لم تتوافر فيه الشروط السابقة لن يجدي بل سيحول ابنك إلى مخلوق آخر قد تندم أشد الندم على أنك قد استخدمت الضرب معه"

obeikandl.com

ثم من طرق التهذيب أيضًا :

– امنح واحرم :

أفضل طريقة تهذب بها ابنك ، وفي عدم العمل بها ضياع حياة الأبناء .

قال تعالى ﴿كلا إنَّ الإنسان ليطغى. أنْ رآه استغنى﴾ هذه الآية الكريمة توضح لنا أن الإنسان إذا أوتي كل شيء يطغى في حياته ، وكما ذكرت لك سابقًا فالإنسان لابد أن يشعر بالحرمان في بعض الأوقات، وذلك لكي يشعر بقيمة ما عنده من النعمة.

"ولكن كيف أمنح وكيف أحرم؟ ، إن الأمر ليس سهلاً ، كل واحد منا يريد أن يعطي أبناءه كل شيء ، وذلك لكي ينال رضا أبنائه ، وهذا الحرمان هل سيؤثر على علاقة الأبناء بالآباء"

"الآية توضح لك ، عندما يصل الإنسان لحد الاستغناء يعتريه الطغيان ، وكل الآباء والأمهات الذين يعطون الآباء كل شيء يقابلون بتمرد من أبنائهم ، ويبكون دمًا بدلاً من دموعهم ، اين ما فعلنا مع أبنائنا ؟ أين ما أنفقناه من حياتنا وأموالنا ؟ أين ..... أين ..... .

obeikandl.com

وعليك أن تحرمه وتُوضِّح له ما عليه أنْ يفهمه أنَّ الحرمان هذا للتهذيب ولابد أن يعرف الابن أنَّ هذا الحرمان ليس المقصود منه منعٌ لمجرد المنع وإنما لكي يتعلم أن الحياة لها أصول وقواعد ، ومن ضمن قواعدها الصبر على المكروه بكل أشكاله ، لأننا أصبحنا في زمان لا يحتمل الناس فيه بعضهم بعضًا ، ولا يحتملون الحياة ولا الأقدار"

"بالفعل وأساس ذلك أنَّ الآباء والأمهات لا يُربُّون أبناءهم على تحمل المشاق بل وبالعكس يبعدونهم عن أي مشاكل تقابلهم بتوفير كل شيء ، ظنًا منهم أنهم يحسنون إليهم"

- ثم نأتي للمصاحبة التي سيكون لها أثر ليس بالبسيط في تلك المرحلة :

ومن طُرقها :

- كن مستمعًا .... أنصت :

"في هذه المرحلة والتي يبدأ أبناؤك بالتعامل فيها مع العالم الخارجي ، ويبدؤن في اكتساب خبرات جديدة ومعرفة شخصيات مختلفة ، لابد لك أن تكون مستمعًا جيدًا ، بل وأن تتحوَّل من

الاستماع فقط إلى الإنصات"

" وما الفرق بين الاستماع والإنصات ؟"

" الإنصات يجتمع فيه القلب مع الأذن ، أما الاستماع فبالأذن فقط، وقد قال تعالى ﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون﴾ فالاسمتاع يكون بالأذن ثم إن شارك حواسه في ذلك الاستماع تحول إلى إنصات ، وسأضرب لك مثالاً للتوضيح :

"ماذا تفعل عندما يأتي أحد أبنائك ليشكو لك من المدرسة؟"

" أتهمه بالتقصير ، وأن شكواه ليست إلا محاولة للتهرب من الذهاب للمدرسة"

"هاهنا أنت لم تنصت ، فأنت لم تتفاعل مع شكواه بشكل جيد"

"وهل تريدني أن أستمع له وأساعده على عدم الذهاب مثلاً"

" كلا بالطبع إنما أريدك أن تتفهم شكواه ، أن تتعاطف معه"

"وماذا تقول أنت لأبنائك ؟"

obeikandl.com

" عندما يأتيني أحد أبنائي ويشتكي من المدرسة – وكثيرًا ما يحدث هذا – أستمع لشكواه حتى نهايتها ، ثم أقول له : أقدر شعورك بالفعل يا ابني ، فالمدرسة بالفعل ليست بالمكان المبهج ، لقد كنت أفعل نفس الشيء عندما كنت في مثل عمرك"

حملقت في وجهه متعجبًا ، وقلت : " ألا تساعده على التمرد برد فعلك هذا ؟"

"ومن قال هذا ؟! ، أتراني قلت له لاتذهب للمدرسة ، بالعكس إن ما فعلته لتوي هو تفريغ لشحنته ، وأنني أتفهم شعوره، لأنني أتفهمه بالفعل"

"ولكن ..." قاطعني قائلاً : "عفوًا ، هل كنت تحب المدرسة؟"

"ومن كان يحبها ؟"

"إذن فأبناؤنا مثلنا، لذا عليك أن تساعدهم على تقبل الوضع"

obeikandi.com

"وماذا بعد أن أفرغ شحنته ؟"

"تسأله ... هل ترى تركك للمدرسة أمر جيد؟ لو فكرت في نفس التفكير عندما كنت صغيرًا ، لكن لم أصل لحل ، فالمدرسة في غاية الأهمية ، ألا تحب أصدقاءك ، فيجيب "بلى" . ألا تحب حصة الرياضة واللعب ، فيجيب : "بلى" ما رأيك إذن هل تتحملها وتحاول الاستفادة منها؟ ، فيومئ برأسه موافقًا ويذهب"

"يالها من براعة، أتدري لإن الإنصات مهم بالفعل لطالما أردت أن ينصت لي أحد في وقت من الأوقات لكي أبث شكواي"

"الإنصات في غاية الأهمية يا عزيزي"

ثم من طرق المصاحبة :

- فاوض :

لابد أن تعلم أبناءك مهارة التفاوض، لأنه من أهم المهارات في الحياة، والذي أقصده بالتفاوض هو أن تجد حلاً ثالثًا يجمع بين حلين مختلفين، بمعنى :

كثيرًا ما نختلف مع أبنائنا ونصر نحن على رأينا ويصرون هم على

openkandil.com

رأيهم ويبقى الخلاف قائمًا بيننا ، فلا يقتنعون هم بآرائنا ولا نقتنع نحن بآرائهم .

والتفاوض في ذلك العالم المشحون بالاختلاف في كل شيء عامل هام وجوهري ، بل وسوف يساعد أبناءنا على تقبل الآخر ، ويساعدك أيضًا على تقبلهم، كما أنهم سيتعلمون مهارة النقاش واختيار الكلام.

"جميل في هذه السن الصغيرة أن يتعلم التفاوض ، إننا نجهزه للحياة"

" بالفعل ، وعليك دائمًا أن تسعى للتفاوض معهم ، وأن تعلمهم ذلك وسيساعدك عمل الاجتماعات على ترسيخ التفاوض بين أفراد البيت"

"أتعرف أنَّ التفاوض يزيد من ثقتهم بأنفسهم بالفعل ، إنك عندما تفاوضني تحترمني بالطبع"

" بالفعل"

ومن طرق المصاحبة أيضًا :

- وابغ رضاه :

ليس هناك تناقض بين المنح والحرمان وأن تعمل على رضا ابنائك، والمغزى من ذلك أن الأبناء يريدون الشعور بأن آباءهم يريدون رضاهم لأنه دليل على الحب، ألا تريد من حبيبك ان يبتغي موضع رضاك؟"

"أريد طبعًا"

"هكذا أبناؤنا يريدون دليلاً على حبهم بأن نرضيهم ، وتلك هي أفضل صفات المصاحبة، ومن منا يريد صاحبًا له لا يحاول السعي لرضاه ؟"

"أراك تقصد أنَّ على الآباء أنْ يجعلوا رضا أبنائهم هامًا عندهم، لا أنْ يعملوا على رضاهم دائمًا"

"بالطبع فليس المقصود هنا أن ترضيهم في كل وقت، وإنما أن يعرف ابنك أنك تريد رضاه مادام ما يرضيه في حدود المعقول والمقبول ، وإن لم يكن سيكون راضيًا عنك بالفعل لأنه يعرف أنك

obeikandl.com

تريد له الأفضل"

"وماذا عن العطاء في تلك المرحلة؟"

من أبلغ ما تعطيه لأبنائك بداية من تلك المرحلة العمرية أن تجعلهم يثقون بأنفسهم .

- وازرع في أنفسهم ثقة :

"كل ما سبق يزرع الثقة في نفس طفلك، فأن تنصت له دون أن تحتقر كلامه أو رأيه، فهذا يزيد ثقته بنفسه، وكذا عندما تفاوضه، لكننا هنا نريد أن نزرع في نفسه الثقة بشكل مباشر"

"وكيف هذا ؟"

" بعدة عوامل :

أولها : القراءة ، فعليك أن تساعده على القراءة وبكثرة لكي تزيد من ثقافته مما ينمي ثقته بنفسه .

ثانيها : أن تجعله يبدي آراءه حول موضوع ما، واحذر ان تحتقر رأيه الصغير الذي يحتاج إلى الخبرة ، وسينالها منك .

obeikandl.com

ثالثها : اجعله يسخر من خطئه، ولا يخفيه، وسيساعدك اعتبار أن الخطأ طريق النجاح الذي تحدثنا عنه سابقًا ، لكي يفهم أن الخطأ العابر لا ينتقص من شخصه .

ومن العطاء أيضًا :

- وسع أفقًا :

"توسعة الأفق، أمر يساعدك كثيرًا على تنمية عقل ابنك في تلك المرحلة، ولكي تفعله عليك أن تحدثك ابنك كثيرًا في التخيل واستخدام أسئلة ماذا لو"

"ماذا لو؟"

"بالطبع فهي أفضل أداة لتوسعة الأفق عند الإنسان"

"تقصد لإثراء الخيال؟"

"والواقع أيضًا ، فماذا لو لم تدرس جيدًا للاختبار؟"

"سأرسب"

"وماذا لو لم تكن هناك أرض نمشي عليها"

obeikandl.com

"لا أعلم"

"لكن ابنك سيعطيك إجابة تخيلية عند سؤاله هذا السؤال، وستعجب من إجابته"

"لقد قرأت قبل ذلك أن أينشتين قال "التخيل أهم من المعرفة"

" وهذا ما نفعله هنا ، نغذيه بالمعرفه ، ونثري خياله"

ومن العطاء أيضًا :

– الدعاء .

– وادع الله :

"ليس أبلغ من أذكرك فقط بأهمية الدعاء والتضرع لله"

"اللهم بلغنا ما نريد ، ووفقنا لتربية أبنائنا"

وودعني باتفاق للقاء بعد أسبوع ، لتطبيق بشكل مكثف .

obeikandl.com

التطبيق الرابع

مضى عليَّ أسبوع كامل مع أبنائي طبقت فيه كل ما تعلمته ، وصار يومي مكتظًا بالعمل، عمل مفيد وهام ، ألا وهو تربية أبنائي ، فلا تلفاز ولا زيادة في العمل، بل ولا أصدقاء إلا في الضرورة، وكم كان ذلك رائعًا ، وكم بعث السعادة بداخلي ، لقد كان ملهمي محقًا بالفعل .

وسأحكي لكم ما حدث معي في ذلك الأسبوع ...

جمعت ولدي "أحمد" وابنتي "ريم" وتحدثت إليهما طويلاً أنا وزوجتي وكيف أننا نريد رضاهما، لكن في حدود المعقول وما نقدر عليه، وأننا متواجدان بجوارهما دائمًا .

وجعلت لنفسي خطة مع أحمد، وجعلت زوجتي لنفسها خطة مع ريم ليتقرب كل منا لواحد منهما بشكل مباشر .

وقد جلست أنا وزوجتي معًا بالساعات لنتعلم كيف ننصت للآخرين بشكل سليم، كيف نتخلص من إبداء النصح أثناء سماع أبنائنا، وقد نجحنا في الحد من ذلك بالفعل.

جاءتني ريم منذ يومين وهي تقدم لي هدية ولأمها هدية وكتبت عليها " إنني أحبكما" .

ذهبت إليها وسألتها سؤالاً واحدًا : "هل تودين أن يكون زواجك كزواجنا ؟"

فابتسمت وأجابت بإيماءة برأسها أن : نعم .

وكدت أطير من السعادة لكني سألتها ولماذا ؟

فأجابت " لأنكما تسمعان أبناءكما"

ياللروعة ، إنني أمتلئ سعادة وبهجة ، من قال أن السعادة مع الأبناء مستحيلة هذه الأيام ؟ إنها من أجل النعم التي قد يمنها الله على عبده، فلك الحمد يارب .

أصبح لحياتي معنى، أنتظر الوقت الذي أجلس فيه مع زوجتي وأبنائي، ننصت لبعضنا بل ونشارك بعضنا في ما يحدث لنا أثناء اليوم، ويتمنى كل واحد منا السعادة للآخر، ويستعد لبذل نفسه من أجل ذلك.

لقد نسيت التلفاز، والعمل صار جزءًا من حياتي فقط، أما الناس فقد صار لهم وقت محدد في حياتي، ولا أجعل وقتهم يطغى على وقت أبنائي الأعزاء.

أصبحت ألعب مع أحمد وأمازحه، وأقضي معه وقتًا كلما استطعت، وضعنا جدولاً نؤدي فيه بعض الأعمال الهامة، وصار ملتزمًا بما فيه، وإنني لأتعجب من تغييره هذا، لكنه ما كان له أن يحدث حتى أتغير أنا ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾، أتعلمون شيئًا آخر ، لقد فاجأني عندما أتى يخبرني أنه لن يصير لاعب كرة قدم ، وكم كانت سعادتي أن مفهومه قد تغير وأنه يريد أن يصير مخترعًا .

أما عن هدى فقد وضعت لها ساعة أسبوعيًا تجلس فيها معي للنقاش، لأستفيد من خبرتها وعقلها، أتصدقون أنني قلت ذلك؟! نعم لقد قلته بالفعل وكم كانت سعادتها بذلك ، وبالأمس عندما جلست مع زوجتي أخبرتني أن هدى أسرت لها بقصة حدثت معها، وكم كانت سعادتنا ، لأن هدى ما كانت تحكي لأنها شيئًا إذن فقد أحرزنا نصرًا كبيرًا.

من قصيدة " كن أبًا ولا تتنح جانبًا"

وسبع معه تكون صديـــقًا لِيـَبُثَّ إليـك شكـــواه

امنح واحرم وكن مستـمعًا شارك واتركْـه لبـــلاه

ساعـد عن قـُرْب مبتعـدًا لِـتـُوَجِّه وتـُقوِّي خـُطـاه

لِيكونَ شبـــابًا مسـئولاً يحمل في الخطأ عُـقباه

حـاور ناقـش واحذر جَـدَلاً و سِّـع أفـــقًا وادع الـله

obeikandl.com